

مضامينُ الحوار في رواية يوم غابت

الشمس لغانم خليل

أ.م.د. مولود مرعي حسن الويس - فراس فتحي عبدالله العكيدي

جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير البشر محمد عليه افضل الصلاة والتسليم .

أما بعد :

تكمن أهمية الحوار من خلال ابراز واطهار اهم المهارات الانسانية والتي تتصل اتصالاً مباشراً بالجوانب الحياتية المتنوعة، وتكوين الخبرة الانسانية ومحاولة تجاوز الغموض والوصول الى اسرار المعرفة من خلال الدوافع التي تدفع المتحاورين في الخوض بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والعلمية والدينية ، ونجد الحوار قد شكل بإمكانياته الفكرية سيمات جمالية داخل العمل الروائي من خلال تشكله تشكياً او ممزوجاً مع السرد ، ووظفت امكانيات المهارات الانسانية التي مارستها عن طريق التعبير بحرية بواسطة الحوار ، اذ استطاع (غانم خليل) أن يجعل من عمله الروائي (يوم غابت الشمس) لوحة رائعة وجميلة شملت انواعاً ومضاميناً متنوعة من الحوارات الاجتماعية والسياسية والعلمية والدينية، ورسم هذه الحوارات عن طريق صياغتها بأسلوب المحاورة بين الشخصيات المتنوعة في هذه الرواية ، قاصداً من ذلك معالجة واطهار اغلب الحوادث المتنوعة التي جرت في هذه الرواية متسلسلة ومنسجمة ومتناسقة.

لقد اعتمدنا في هذا البحث على كمية مهمة ومتنوعة من المصادر الغنية بالثروات التي اثرت بحثنا هذا ومن هذه المصادر : (الحوار خلفياته وآلياته وقضاياه للدكتور الصادق قسومة، والرواية السياسية لارفنج هاو بترجمة الدكتور طه وادي، وفي رحاب الفكر العربي ليوسف محمود السعيد، والسرد العربي القديم لإبراهيم صحراوي)، فضلاً على المصدر الرئيس وهو رواية (يوم غابت الشمس لغانم خليل) والتي اثرت بحثنا بالمشاهد الحوارية المستخدمة في المضامين المتنوعة.

لقد اشتمل هذا البحث على ثلاثة مباحث فضلاً على التمهيد والخاتمة، فجاء المبحث الاول بعنوان المضمون الاجتماعي، والمبحث الثاني المضمون السياسي اما المبحث الثالث

فجاء بعنوان المضمون العلمي ، وقد تضمنت الخاتمة اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة ومنها ان الحوار يعد لغة التواصل بين الشخصيات ، ومعالجة كل القضايا التي تخص جوانب الحياة المختلفة بطريقة تحاورية وتداولية ، وكذلك الكشف عن مستويات الشخصيات الثقافية والاجتماعية والعلمية.

Abstract

Praise be to Allah, the Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the best of mankind.

After:

The importance of dialogue is through highlighting and showing the most important human skills that are directly related to the various aspects of life, the formation of human experience and the attempt to overcome ambiguity and access to the secrets of knowledge through the motivations that engage the interlocutors in various aspects of social, political, scientific and religious life. The concept of aesthetic aesthetics within the novel work by forming it or mixed with narration, and employed the possibilities of human skills exercised by the expression freely by dialogue, as (Gan Khalil) to make his novel (J And the absence of the sun), a wonderful and beautiful painting that included various types of social, political, scientific and religious dialogues, and the drawing of these dialogues by formulating them in a manner of dialogue between the various characters in this novel, in order to address and show most of the various incidents that occurred in this novel sequentially and harmoniously.

We have adopted in this research an important and varied amount of rich sources of wealth that influenced our research and these sources: (dialogue backgrounds and mechanisms and issues of Dr. Sadiq Qusuma, and the political narrative of Harfeng Hao translated by Dr. Taha Valley, and in the Arab thought of Yusuf Mahmoud Saeed, The ancient Arabic by Ibrahim Sahraoui), in addition to the main source is the novel

(the day of the absence of the sun to Ghanem Khalil), which influenced our research dialogue scenes used in various content. The third topic was entitled "The Scientific Content". The conclusion included the main findings of the study, including that the dialogue is the language of communication between the characters, and the treatment All the issues that concern different aspects of life in an interactive and deliberative manner, as well as revealing the levels of cultural, social and scientific figures.

مَجَلَّةُ جَامِعَةِ كَيْتِ لِلْعِلْمِ
الْإِسْلَامِيِّ

التمهيد

اولاً : بطاقة غانم خليل

أ. الولادة والنشأة

ولد غانم خليل في مدينة الموصل عام ١٩٥٣م من اسرة كانت تعاني من ضعف الحالة المعاشية، مما اضطر بعض اخوته الى ترك دراستهم والانشغال في اعمال البناء وهي مهنة تزدهر صيفاً وتكاد تتوقف شتاءً الامر الذي جعل والد غانم يستأجر ارضاً زراعية لزراعتها قمحاً او شعيراً لسد الحاجة الغذائية من هذه المادة الغذائية ويبيع ما تبقى من المحصول شتاءً.

انهى غانم خليل دراسته الابتدائية في مدرسة العدنانية الابتدائية للبنين عام ١٩٦٥م ثم التحق بمتوسطة الحدياء وتخرج منها عام ١٩٦٩م وبعدها اكمل دراسته الاعدادية في الاعدادية المركزية (الفرع العلمي) وتخرج منها عام ١٩٧٢م، وكان مهتماً بالدراسة في اللغة الانكليزية وكان يطمح اكمال دراسة اللغة الانكليزية في كلية الآداب، غير ان تخصصه في الفرع العلمي حال دون ذلك لأنه لم يكن مسموحاً وقتها لخريج الفرع العلمي بالالتحاق بالدراسات الانسانية آنذاك، فالتحق بكلية العلوم في جامعة الموصل قسم علوم الحياة ليتخرج منها عام ١٩٧٧م حاصلاً على شهادة البكالوريوس في علوم الحياة.

وفي عام ١٩٨٠م عين مدرساً لمادة الاحياء على ملاك مديرية تربية نينوى، ثم التحق لأداء الخدمة العسكرية الالزامية، واستمر بمهنته التدريس الى ان احيل الى التقاعد عام ٢٠١٦م لبلوغه السن القانوني للتقاعد.

اهتم غانم خليل بالرسم والادب بصورة عامة، واثناء دراسته الجامعية اخذ كورساً دراسياً في مادة الرسم تحت اشراف الاستاذ (نجيب يونس) ف قضى اوقاتاً كثيرة في الرسم في مرسوم جامعة الموصل، بعدها تخلى عن الرسم في ثمانينات القرن الماضي ليتفرغ للادب (كتابة القصص والروايات) وقراءة ومطالعة اغلب الكتب الادبية.

ظهرت ميولة الادبية في الدراسة المتوسطة، فقد كان مدرسو اللغة العربية يشجعون طلبتهم على المطالعة الخارجية، فقد كان لزاماً على كل طالب ان يكون له دفتر يخص فيه (او

ينقل أحياناً ما قرأه من كتب خارجية، ولحسن الحظ كان أحد إخوة الروائي وأكبر منه سناً مولعاً بالمطالعة وشراء الكتب فتسنى له قراءة كتب مصطفى المنفلوطي وجبران خليل جبران وبعض روايات جرجي زيدان والف ليلة وليلة فضلاً عن الكتب والروايات التي كان يستعيرها من المكتبة المركزية فقد كان يقضي فيها معظم أيام العطلة الصيفية.

وفي مرحلة الصف الرابع الإعدادي قرأ رواية (بداية ونهاية) لنجيب محفوظ فأثرت فيه تأثيراً كبيراً وأعجب على أثرها بأسلوب نجيب محفوظ فقرأ له (خان الخليلي) و(زقاق المدق) وغيرها، ثم جاء الأدب الروسي ليحتل الصدارة في اهتمامات غانم خليل فقد تولع به تولعاً شديداً وقرأ لعمالقته ومنهم تولستوي دوستوفسكي وتوجنيف وغوغول ومسترنان وكان أشدهم تأثيراً هو (ميخائيل شولوخوف) إذ قرأ جميع أعماله وأهمها (الدون الهادي). كذلك قرأ من الأدب العالمي لشكسبير ومرنويت مينشل وديكنز وهمنغواي وغيرهم، واحتلت أعمال ماركيز (بواقعتها السحرية) الموقع الأول من اهتمامات غانم خليل جنباً إلى جنب روايات أحلام مستغانمي في الأدب المعاصر. يميل غانم خليل إلى كتابة الروايات والقصص الطويلة بالدرجة الأولى أما كتابة القصص القصيرة فتأتي في الدرجة الثانية.

ب. أهم أعماله الأدبية:

١. في عام ١٩٨٧م كتب أول رواياته (عندما بكت السماء) وهي رواية تاريخية تتناول فترة حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من عام ١٨٧٦ حتى عام ١٩٠٩.
٢. بدأ بكتابة رواية (يوم غابت الشمس) في عام ١٩٩٠م وانتهى منها عام ١٩٩٣م وقد تم طبع الجزء الأول منها عام ٢٠١٠م في دار ابن الأثير للطباعة والنشر التابعة لجامعة الموصل تم طبع الجزء الثاني في أوائل عام ٢٠١١م في نفس الدار، وقد أعاد طبعته (دار الحوار) للطبع ونشر في سورية فجعلت الجزأين كتاباً واحداً في عام ٢٠١١م.
٣. في نهاية تسعينيات القرن الماضي كتب مجموعتين قصصيتين الأولى (حب في يلد) وقد طبعت عام ٢٠٠٣م والثانية (درس آخر الليل) وقد طبعت عام ٢٠١٠م في دار ابن الأثير للطباعة والنشر التابعة لجامعة الموصل

٤. وايضاً في تسعينات القرن الماضي كتب غانم خليل الفصل الاول من رواية (اعتاب الربيع) ثم واصل كتاباتها على مراحل بعيدة ومتفرقة حتى انتهى منها عام ٢٠٠٩ م
 ٥. في عام ٢٠٠٤ م بدأ بكتابة رواية (حداد العمر كله) وانتهى من كتابتها في تموز ٢٠٠٩ م
 ٦. بعدها كتب رواية (حزناً حتى تعود) وانتهى من كتابتها عام ٢٠١١ م
 ٧. في حزيران ٢٠١١ اخذ يكتب رواية (لن تورق الكروم) وانتهى منها في عام ٢٠١٣ م وطبعت بدار ابن الاثير للطباعة والنشر
 ٨. في الثلاثين من كانون الثاني من عام ٢٠١٤ بدأ بكتابة رواية (خاطرات الليل)
 ٩. ولغانم خليل قصة طويلة بعنوان (مذكرات هارب) كتبها في منتصف عام ٢٠٠٩ م
 ١٠. كما له عدد من القصص القصيرة نشر منها ثلاثة وهي (جرح غائر) و(امرأة حائرة) و(شاعر في الصيرورة) وقد نشرها في مجلة الرائد الاماراتية عام ٢٠١٣ م
 - ج. اما الكتب التي ألفها الروائي غانم خليل:
 ١. (الصاحب والصديق) طبع ونشر في دار ابن الاثير عام ٢٠٠٨ م
 ٢. (المورد المهني في سيرة وحكم يحيى ابن معاذ الرازي)
- وتعتبر فترة التسعينات من القرن الماضي من اسوء السنوات التي مرت على الكاتب غانم خليل وعلى غيره من الموظفين الذين ارهقهم الحصار الاقتصادي في ذلك الوقت الامر الذي اجبر الكاتب للتوقف عن الكتابة فترة من الزمن واضطر في وقتها للاشتغال بعد اوقات الدوام لساعات طويلة.
- اشتغل في تلك الفترة في تدوين بعض الافكار المتعلقة بروايتي (اعتاب الربيع) و(حصاد العمر كله) والتي وظيفها بعد عام ٢٠٠٣ م، ولم يتوقف في فترة التسعينات نهائياً بل كان يكتب فيها بأوقات متباعدة، ولا يزال الروائي غانم خليل على قيد الحياة وينعم بصحة جيدة حيث يسكن مدينة الموصل.

ثانياً : المضمون لغةً

((من ضمن : ضمنت الشيء ضماناً : كفلت به، فأنا ضامن وضمين، وضمنت الشيء تضميناً فتضمنه عني، مثل غرمته، والمضمن من الشعر : ما ضمنته بيتاً ، والمضمن من البيت : ما لا يتم معناه الا بالذي يليه))^(١) ، ((وفلان ضمن وضمين، وكافل وكفيل ، ومثلها سامن وسمين، وناظر ونظير، وشاهد وشهيد، ويقال : ضمن الشيء اضمنه ضماناً ، فأنا ضامن وهو مضمون))^(٢)، و((ضمن : الضاد والميم والنون اصل صحيح ، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، من ذلك قولهم : ضمنت الشيء، اذا جعلته في وعاءه ، والمضامين : ما في بطون الحوامل))^(٣).

ثالثاً : المضمون في الاصطلاح الروائي

تجري احداث الرواية بشكل متسلسل ومنتظم، حيث يجسدها الروائي بصورة جمل قصيرة مرتبطة مع بعضها ومتناسقة مع بقية عناصر الرواية، فيقوم الروائي بإعطاء كل عنصر ما يستحقه من القصة بصورة علمية دقيقة لكي يجري سردها منتظماً مرتبطاً مع الفكرة التي من اجلها بنى الروائي هذه الاحداث وجعلها في خدمة القارئ، فيجب ان يحتوي العمل الروائي على فكرة رئيسية تبنى عليها الاحداث، وتشترك كل العناصر السردية في نقل الافكار وكل المعلومات التي يتضمنها العمل الادبي بوسائل فنية مختلفة فمن واجب الاديب ان ينقل الى المتلقي (القارئ) كل الافكار التي تتضمنها القصة مستخدماً وسائل التعبير المختلفة، والحوار هو احدى الادوات المهمة والرئيسية التي يستخدمها الاديب في نقل افكار القصة عن طريق المحاورة بين الشخصيات فمن خلاله تكون الفكرة واضحة لأن الحوار يعبر عن افكار الشخصيات التي تنصب في احداث الرواية وتربطها وبالتالي يؤدي الى وضوح فكرة العمل الروائي^(٤)، فالحوار هو من يؤدي الى فهم قصديات الروائي والعمل السردى من خلال الكشف عن الخفايا التي تتضمنها الاحداث وتبوح عنها الشخصيات بالحوار. فالشخص غير ملزم في كلامه باختيار ألفاظ خاصة او مقيدة، بل يجب عليه أن يصنع اطاراً كلامياً مميزاً، ينسجم مع شخصيته ويحافظ على كيانه، ويعطي قيمة ومكانة للشخص الاخر وهو المحاور، فلكل حوار قصدياته الخاصة التي يتشيد من خلاله البناء المعرفي لخفايا الاحداث

والشخصيات ونواياها وعلى هذا الاساس فقد جاء الحوار متنوعاً بسبب تنوع الشخصيات واختلاف آرائها، فتنوعت مضامينه وقصدياته، فالكاتب يظهر ابداعاته وتقنياته من خلال رسم صورة النقاش الذي يدور بين الشخصيات في المواقف المختلفة، فيجعل المحاورة في موقف واحد ممكن ان تتضمن وجهات نظر متعددة، فيحتاج الى طرق واساليب مختلفة لنقل الافكار والموضوعات التي تنقل بواسطة النقاش والجدال على اختلاف طرقها واشكالها^(٥)، فاختلاف مضامين الحوار في الرواية يؤدي الى اختلاف الاسلوب الذي يحتاجه الروائي في كل مضمون، وعلى الكاتب ان يلتزم بالأساليب المختلفة التي تؤدي الى وصول الهدف من خلال الحوار فلكل نوع من الحوار اسلوبه^(٦).

المبحث الاول

المضمون الاجتماعي

تدور أغلب الروايات حول نقطة مهمة تتمظهر فيها الاحداث الاجتماعية، باعتبارها نابعة من المجتمع وما يحويه من مقومات وعناصر حركية وثابتة، ولأن اهم عنصر في تكوين المجتمع هو الانسان وما يقوم به من اعمال انسانيه، اذ يعطي صفة حركية للمجتمع، تؤدي الى بناء مجموعة من العلاقات الانسانية والاجتماعية بين افراد المجتمع، فمن خلال هذه العلاقات ينتج نوعاً من التداخل الجماعي في كل مجالات الحياة، حيث يبدأ من اصغر نواة وهي الاسرة صعوداً الى اكبر حلقة اجتماعية، فينتج من خلال هذه العلاقات المتداخلة نوعاً من الحوار الاجتماعي اذ تتنافس فيه الشخصيات في كل ما يتعلق بالمجالات والامور الاجتماعية فمع انتشار التطور الحضاري المدني وانتقال الحراك الجغرافي الاجتماعي من الريف الى المدينة هذا الامر دفع الكتاب الى تضمينه في الاعمال الروائية بكل تفاصيلها الثقافية، فاصبح المجتمع الركيزة الاساسية التي يغترف منه الروائي احداثه وشخصياته وبناء المشاهد الروائية والحوارات بين الشخصيات من خلال شبكة من العلاقات والتواصلات الاجتماعية^(٧)، ومن خلال هذه العلاقات يأخذ الحوار الاجتماعي دوراً مهماً من خلال التواصل بين الشخصيات، حيث يعطي الكاتب لكل شخصية دورها في الحوار وطريقته بحسب نوع الشخصية والموضوع الذي يتم التحوار به، حيث لكل موضوع حوار خاص به فنجد الحوار قد تنوع في نظامه وشكله ومادته عند كثير من كتاب الروايات والقصص الحديثة، فاصبح قابلاً للانتقال من الاغراض الشخصية الخاصة الى مناقشة قضايا المجتمع بشكل حضاري وواسع، وهذا يدل على انتقال اهتمام الشخصية من الذاتية الى افاق اوسع وتواصل عام مع من هو ينتسب الى المجتمع الواحد او مع المجتمعات الاخرى^(٨)، فاصبح الحوار من التقنيات المهمة التي تستعمل في نسيج العلاقات الاجتماعية التي تساعد على استمرار عملية الحياة، فكل مجربات الحياة ومقوماتها ومكوناتها من اسرة وزواج وعلاقات بدأت اقتصادية واعمال مهنية وعلاقات اخرى تكون مرتكزة بالدرجة الاساسية على الحوار بين الشخصيات باختلاف انواعها وثقافتها ومكانتها، فيتميز مجتمع عن مجتمع اخر من

خلال الافكار الاجتماعية التي تدور في اذهان الافراد، والتي تؤسس نوعاً من التشابك والتداخل الجماعي، فتتشكل البنية الوطنية الاجتماعية، وتناقش قضاياها وتحل ازماتها. ومن خلال دراستنا للحوار في رواية يوم غابت الشمس وانواعه المختلفة والمتنوعة، لاحظنا مجموعة من الحوارات قد تضمنت مضامين مختلفة، ومنها المضامين الاجتماعية التي تخللت بعض الحوارات التي جرت بين الشخصيات الاجتماعية كالحوار الذي يدور بين شخصيات العائلة الواحدة، او بين الاصدقاء لمناقشة الحالات الاجتماعية والاسرية وغيرها، ومن هذه الحوادث التي تضمنت مضامين اجتماعية، حوار ملا ابراهيم لشاهين مريودة ومسعود الجوماردة عندما حلوا ضيوفاً عنده في المدرسة واصر أن لا يتناول العشاء الا بمشاركتهم فقد بدأ الحديث شاهين مريودة ليشتكي الى ملا ابراهيم على ولده حريش، ولكن حال الحديث دون جدوى بقدم مسعود الجوماردة

— ((في الحقيقة ... في الحقيقة يا افندي، ان ابني ... جئت اشكو اليك ابني
— سأستمع اليك، ولكن ليس قبل ان تشاركني طعام العشاء فاذا ... وقطعت حديثه
اصوات خطوات قادمة، ثم همهمة، فنهض ملا ابراهيم ليتطلع عبر النافذة فقال
مبتسماً:

— انه الشيخ مسعود الجوماردة، اخونا في الله !!
استقبله ملا ابراهيم باحترام بالغ وانظم الى الضيف الاول
هب ملا ابراهيم الى قدر الطعام ثم عاد به حاملاً (الجمجمة) والخبز قال وهو
يفرغ الطعام:

— ما اسعد المرء بين احبابه: اي والله: ثم اي رحمة من الله مجيئكما الي!
فأجابه مسعود:
— اتسمي زيارة صديق لصديقه رحمة؟!
— ان مصاحبة الأخيار رحمة، والله لا تضاهيها رحمة، ثم اني كنت افكر بمن
سيؤنسني ويشاركني عشائي؟ فاذا به تعالى يبعثكما الي تناولوا طعام العشاء، ثم

استمع ملا ابراهيم الى شكوى شاهين ووعدته بإصلاح ذات البين، وبعدها ذهب الجميع في زيارة لبيت امين افندي فخري زادة^(٩).

نلاحظ في هذا المشهد الحواري الذي تطرق الى مسألة اجتماعية، منها ما بدأ به (شاهين مريودة) حول الشكوى لملا ابراهيم من ابنه احمد (حريش) الذي يرى بأنه قد اتعبه كثيراً من خلال تصرفاته في داخل المنزل او خارجه، فلم يبين المشهد الحواري سبب الشكوى، ولكن من خلال قراءتنا للرواية اتضح أن السبب هو عدم التكافؤ والاتفاق ما بين شاهين وابنه احمد، لظروف اجتماعية مرت عليهم، منها اهمال شاهين لزوجته وهي والدته احمد (حريش) مما ادى الى نفور احمد من والده وعدم احترامه، وكذلك نرى في هذا المشهد الحواري نوعاً من الالتزام والتقارب الاجتماعي بين الاصدقاء، حيث اظهر حوار ملا ابراهيم مع شاهين مريودة ومسعود الجومارده مدى الالتزام والتقارب الاجتماعي بين الاصدقاء، من خلال بعض العبارات التي استخدمها الكاتب على لسان شخصية ملا ابراهيم (انه الشيخ مسعود الجومارده اخونا في الله) فهذه العبارة تؤكد محبة ملا ابراهيم لأصدقائه واعتبارهم اخوانه في الدين الاسلامي، ونلاحظ ايضاً طلبه منهم مشاركته في طعام العشاء واعتبار قدومهما اليه هي رحمة من الله سبحانه وتعالى، فنلاحظ هذا المشهد الحواري قد تضمن احدي القضايا الاجتماعية وهي علاقة الاصدقاء فيما بينهم بنية الصدق والاحترام، حيث تؤدي هذه العلاقات الى البوح بأسرار البيت ومشاكله، لتقديم المشورة والمساعدة للأصدقاء فيما بينهم وقد لجأ معظم القاصين الى هذا النوع من الحوار الذي يتضمن قضايا اجتماعية وذلك بسبب كثير من التحولات والتغيرات الاجتماعية المتقلبة والمتحولة لدى اغلب الشعوب العربية^(١٠)، فهذا النوع من الحوار يظهر بعض من واقع الحياة الاجتماعية كما هي موجودة في الواقع، فيحاول الكاتب ايصال هذه الانواع من القضايا الاجتماعية الى القارئ، فنرى مساحة الحب الذي يحمله ملا ابراهيم الى اصدقائه وفرحته بزيارتهم له، فهو يظهر مدى التزامه الاجتماعي وعمق العلاقة والاخوة بين اصدقائه وهذه تعتبر من اهم القضايا الاجتماعية من خلال اظهار اللفة والمحبة والثقة العالية بين الاصدقاء، وقد كشفنا هذه العلاقة من خلال الحوار الذي تضمن هذه القضية الاجتماعية.

ومن الامثلة الاخرى للحوارات التي تضمنت قضايا اجتماعية، وهو ما دار بين ملا ابراهيم ومسعود الجوماردة، حول قضية اجتماعية تناقشا فيها، وهي قضية زواج ملا ابراهيم عندما فاتح مسعود الجوماردة في هذا الامر وان له رغبة في وضع حد لعزوبيته، بعد احساسه بالوحدة، فعندما عادا من مجلس امين افندي بدأ الحديث ملا ابراهيم حول هذه القضية مستشيراً مسعود الجوماردة في هذه القضية، وطلب مساعدته في البحث عن زوجة مناسبة...

— ((مسعود ... أريد ان افاتحك بأمر ما يا اخ مسعود ...

قالها ملا ابراهيم لصاحبه في طريق عودتهما من مجلس امين افندي، قالها بشيء من التردد والحياء، فأجابه الرجل بانشرح كبير وابتسامة عريضة:

— تفضل... تفضل وبلا مقدمات.

— باختصار أذن، لقد فكرت بما ستؤول اليه حالتي عند الكبر.

— حسن!

— وانا وكما يعلم حضرتكم انفقت شبابي وحيداً.

وهز مسعود الجوماردة رأسه متجاوباً وعاد ملا ابراهيم الى القول:

— الى حد اول امس كنت راضياً مقتنعاً بذلك.

ثم ماذا؟!

— اريد ان اضع حداً لعزوبيتي.. بصراحة اريد ان اتزوج .

— سبحان مغير الاحوال !!

— ولكن قل لي بربك ما الذي حملك على الاقدام على الزواج بعد كل ذلك الاحجام عنه؟

— انا اقول لك : اتذكر حادثة السكير التي قصصتها عليك قبل ايام؟

— اجل ، ما لزواجك والسكير ؟

— منذ ان اعترض طريقي وكلامه لا يزال يتردد على مسامعي لقد طلب مني ان ادعو لابي بالرحمة ، وهذا ما هداني ان افكر ملياً فإذا كان هذا السكير الفاسق ينفع

والده فلماذا لا يكون لي ولد صالح يدعو لي في حياتي وبعد مماتي ويترحم علي ؟

— أجل أجل فالولد الصالح صدقة جارية كالعلم، يستمر أجره عند الله حتى بعد وفاة صاحبه .

— اذن انت تدرك ذلك))^(١)

في هذا المشهد الحواري الذي يدور بين شخصيتين عريقتين في قصة هذه الرواية وهي شخصية ملا ابراهيم الرجل الوقور صاحب الدين ومدير المدرسة الدينية في المنطقة القديمة من الموصل وبين شخصية مسعود الجوماردة ، الشخصية الاجتماعية المعروفة في الموصل قديماً، وتناول الحوار قضية اجتماعية مهمة وهي قضية الزواج، حيث بدأ الحوار بشخصية ملا ابراهيم محاوراً مسعود الجوماردة عن ملله من الوحدة ورغبة منه في اكمال نصف دينه وزواجه بأمرأة من عائلة معروفة ذات دين وخلق ، ومن خلال اطلعنا على هذا المشهد الحواري ، أن هذا الحوار يحاكي الحياة الواقعية التي يعيشها الانسان في الحقيقة، فمثلاً ملا ابراهيم مهما كان هو انسان له احساس وعاطفة ، ويشعر بأن شيئاً ما ينقصه كأن تكون الزوجة او الولد، فنجد قد بدأ الكلام ((اريد ان افاتحك بأمر ما يا اخ مسعود...)) ، نلاحظ من خلال هذه البداية الخجل والحياء الذي كان على ملا ابراهيم للخوض بهذا حديث معتقداً انه من المحتمل رفض الفكرة من قبل مسعود الجوماردة او ربما يسيء الظن به ، فنجد ان ملا ابراهيم قد استغل انتباه مسعود اليه واخذ يوضح سبب رغبته السريعة في امر الزواج، فأراد بذلك ان يضع حداً لعزوبيته، فنجد ان هذا المشهد الحواري انتابه بعض التعجب ، وذلك لكون ملا ابراهيم قد رفض في السابق هذه الفكرة جملة وتفصيلاً مما اثار اعجاب مسعود الجوماردة ، هنا اراد مسعود ان يطرح سؤالاً على ملا ابراهيم ، لكي يقوم بربط هذه الفكرة مع السبب الحقيقي ، ولكي يتمكن من تسلسل الحوار بالضرورة التي تؤدي الى قناعة تامة من قبل الطرفين فعندما تحدث ملا ابراهيم عن السبب وكان هو الرجل الذي قطع عليه الطريق وطلب منه ان يدعوا لأبيه وكان هذا الرجل سكيراً، وشعر ملا ابراهيم بالنفور من رائحة الخمر التي تأتي من فمه، هنا احس ملا ابراهيم بقيمة الزواج،

وقيمة الولد الذي يدعوا لأبيه، فاذا كان هذا السكير يطلب الرحمة والدعاء لأبيه فكيف الولد الصالح، عندها أصبحت لدى مسعود الجوماردة قناعة تامة لإصرار ملا ابراهيم على الزواج فهذا المشهد الحواري الذي حمل في مفرداته وعباراته مضامين اجتماعية قد اتسم بالطول وامكانية التعادل بين الطرفين، فبعد ان بين ملا ابراهيم رغبته في الزواج ووضح الاسباب، قابلة مسعود الجوماردة بان ذلك هو من احسن الامور الاجتماعية التي يفكر فيها ملا ابراهيم، بل اعطاه تشجيعاً لهذا الامر ووعد بانه سوف يساعده في البحث عن الزوجة الصالحة كما سنجده في تكملة حوارهما... فقال ملا ابراهيم..

— ((ولكن من سيخطب لي؟

ضحك مسعود الجوماردة وقال:

— ستجد الف امرأة في خدمتك والف فتاة تروم وصالك. هذا امر سهل سأفتح زوجتي بالأمر وستقوم بخطبة الفتاة التي تليق بك، ولكن اسمع هناك فتياتان تحت ايدينا، كلاهما ذواتا دين وخلق رفيع ومن عائلة كريمة، الاولى جارتنا زهية بنت جورة والاخرى عائشة ابنة عبدالله حاجي، اما الاولى فأنت تعرفها، والثانية فلا اظن ان مخلوقاً رأها سوى اهلها والطير الذي يمر فوق بيتها، لقد سمعت انهما اية في الجمال، أذكر ان زوجتي قالت لي ذلك يوماً ما.

— هل تسير معي على طول الخط؟

— وهل تخليت عنك يوماً ما؟

— اذن طالما بدأنا الموضوع فلنستمر فيه، اسمع... ايما تكن الفتاة المرجوة فأن لي في زواجها شرطين: اولهما ان يكون زفافها سراً بدون ضجة، فالزواج كما تعلم هو ستر. وثانيهما الا تخرج من بيتي الا لحاجة والا تخرج الا بأذني.

— وسنجعل المهر اقل ما يكون ان شاء الله فان ذلك يجعل من الزواج زوجاً مباركاً^(١٢)، هنا اراد أن يبين الروائي مدى حجم العلاقات الاجتماعية في ذلك الزمان ومدى وفاء الصديق لصديقه ومساعدته في مختلف الامور الاجتماعية والوقوف بجانبه وخصوصاً مسألة الزواج، فهذه القضية الاجتماعية تكون من اهم القضايا ويجب التعامل

معها بحذر شديد، لعدم تفادي الوقوع في مشاكل ومشاحنات، فيجب أن يكون الاختيار موفقاً من البداية، فنلاحظ من خلال هذا المشهد الحوارى بين ملا ابراهيم ومسعود الجوماردة، ان الجوماردة اراد أن يبين من خلال حوارهِ مع ملا ابراهيم مدى حبه له وحرصه عليه، والسعي لإيجاد الزوجة الصالحة من خلال عرض فتاتين يعرفهما الجوماردة، على قدر عالٍ من الدين والاخلاق تمنها لصديقه ملا ابراهيم، فنجد أن الحوار قد اخذ مجرى رحباً وواسعاً بين الشخصيتين، وانسجام الافكار فيما بينهما، ومحاولة الوصول الى الحل الامثل والاجدر الذي يناسب هذه القضية، حيث نجد أن ملا ابراهيم قد رحب بفكرة مسعود الجوماردة واعطاه الضوء الاخضر في اختيار زوجة له وذلك للثقة العالية بين الطرفين، فكانت التساؤلات والاجابات بين الطرفين قد شملت مجموعة من محاور القضية، وجعل هذا الحوار هو مخصص لقضية الزواج التي تعد من اهم القضايا الاجتماعية^(١٣). ومما زاد الثقة بين ملا ابراهيم ومسعود الجوماردة، هو طلب ملا ابراهيم بان يستمر سويًا في هذا الامر، دلالة على اقتناع الشخصيتين بآراء بعضهما.

المبحث الثاني

المضمون السياسي

عرفت الدولة منذ قدمها التنظيم السياسي، فجعله مقياساً لترتيب واقعها وتنظيمها، لذلك اعتبرت السياسة موطناً لمعالجة الامور والقضايا الاجتماعية التي تتصل اتصالاً مباشراً بشؤونها، لذا فههدف اكثر الحوارات مشاركة المتحاورين فيما بينهم بالآراء، وطريقة التفكير بمسألة معينة، وكذلك في ايصال العواطف الخاصة الى بعضهم البعض، لذلك فمن الواجب غرس الافكار بين المتحاورين في اذهان بعضهم البعض بواسطة اختيار الكلمات المناسبة لها، فالتحدث بالسياسة يعني الاستماع والاصغاء اليها ما كانت تهم الافراد والجماعات، فهي تعالج اغراضاً ثقافية واجتماعية ودينية وسياسية محضة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمستمع لأنها تتعلق بمرتكزات الدولة ورسم مستقبلها والتقدم بها الى الامام، فينشأ نوع من التفاعل المهم بين افراد المجتمع^(١٤)، لذا تعد السياسة من اهم الامور التي تجعل افراد المجتمع يصبون اهتمامهم في معرفة كل مرتكزاتها واستراتيجياتها وتفكير السياسيين لان السياسة واحدة من اهم اسباب نجاح البلد او ضياعه.

وقد دخلت السياسة في عالم الرواية الحديثة والمعاصرة، من خلال ادراج المواضيع والاحداث السياسية التي دفعت في البلاد مادة اساسية للرواية، أو تشكل فرعاً منها، فيوظف هذه الاحداث على لسان الشخصيات وحواراتها السياسية ((فالافكار المحررة والايديولوجيات تصبح حية ومقنعة في اطار حركة الشخصيات الروائية))^(١٥)، فالفكر السياسي يلعب دوراً مهماً في بناء الاحداث الروائية السياسية المعاصرة، فيعكس الكتاب من خلاله دوره الابداعي الحديث واعطاء ميزة للرواية تختلف بدورها عن الروايات الاخرى، فتأخذ المشاهد السياسية منعطفاً سياسياً حوارياً بين الشخصيات يتميز في جعل الشخصيات تأخذ فرصة اكبر في التفكير والتعبير عما يلوج في داخلها من عواطف متحمسة، فيفضله على الاوصاف الموضوعية التي تحدد موقفهم وحالتهم^(١٦)، فيأخذ هذا النمط الحوارى بالاسترسال بين الشخصيات من خلال صياغة الاسئلة فيما بينهم لمناقشة موضوع سياسي يعطي اهمية بارزة وكبيرة للبلد والمجتمع، يميزه الاندفاع العاطفي، والذي يعطي اصحابه قوة واندفاعاً وشجاعة

يغيب الفرصة على الطرق الأخرى في الرد أو ابداء الآراء، لذا فالسياسية تعد من الركائز الأساسية في الحياة والمجتمع لأنها ((تلهب عواطفنا مثلما لا يفعل أي شيء سواها، ومهما نتفق على تجاهلنا فالسياسية أثناء قراءة رواية ما فأنا ننفع الرأي السياسي نمقته))^(١٧) ، فالحوار السياسي يحرك أفكار الشخصيات بعاطفة فاعلة وحماس مطلق، يسعفه في ذلك ثقافة علمية وإدراك فكري واجتماعي ومعلومات جلية، فهي سلاح المتحاور لإثبات الحقائق والرد على المخاطبين بالطريقة العلمية الصحيحة.

ومن أمثلة الحوارات التي تضمنت مواضيع سياسية، المقطع الحواري الذي دار في مجلس أمين أفندي زادة، حيث جرى الحديث بينه وبين ملا إبراهيم ومسعود الجوماردة وعبدالله الهدو وحنا قريبا قوس. وكان مضمون الحوار سياسي يدور حول الحرب التي جرت بين روسيا والدولة العثمانية وبين أسباب هذه الحرب ونتائجها الوخيمة، فكان على رأس المتحاورين أمين أفندي، فهو لديه معلومات كافية عنها.. فقال أمين ضارباً للجالسين معه مثلاً عن تفاهة الأسباب التي تقوم عليها الحروب...

— ((خذ مثلاً حربنا الأخيرة مع روسيا، فلو نظرنا إلى فضاعتها وقسوتها والالاف المؤلفة من قتلى الطرفين فسنجد أن أسبابها تافهة جداً!! ثم ما الفائدة التي جنتها روسيا منها؟ إنها تكاد لا تذكر، إلا ترون أن الغاية الأساسية هي في ازهاق أرواح فقط، ولا سيما أن بعض الدول قد دخلت لمنع حدوثها:

— ولكنك لم توضح أسبابها يا أفندي؟

— السبب كما أراه هو ضعف دولتنا: اليس قياصرة روسيا يدعونها بالرجل المريض؟... وهذا مما جعلهم يتصورون أن بإمكانهم أن ينزلوا هزيمة كبيرة بنا وبأسرع وقت، ثم يقطعوا أجزاء منها. ولكي يكون لهم عذرهم في دخول الحرب أعلنوا أنفسهم حماة للمواطنين النصاري في دولتنا بحجة اساءة معاملتهم .

— أن قيصر روسيا ساق بلاده لحربنا، تنفيذاً لوصية بطرس الأكبر بضرورة الاستيلاء على استانبول، والتحكم بالمضايق التركية))^(١٨).

نلاحظ في هذا المشهد الحوار الذي يحوي مضموناً سياسياً ابتدأ به امين افندي زادة، حينما اراد الربط بين الحرب والأوبئة من خلال قتلها للبشر بدون اسباب كبيرة، فكلها اسباب تافهة، ضارباً مثلاً لأسباب الحروب التافهة بحرب دولتهم العثمانية مع روسيا في سنة ١٨٧٧م والتي استغرقت تسعة اشهر وسبعة ايام كما يذكر التاريخ، ونجد شخصية امين افندي التي تعد شخصية رئيسية في رواية (يوم غابت الشمس) وكونه يترأس المجلس الذي يضم اصدقائه المقربين، للتحدث بالأمور الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها فإراد أن يبين من خلال حوار أن الحرب التي خلفتها روسيا مع الاتراك كانت لأسباب تافهة، واضاف بأن الغاية منها هي ازهاق ارواح الناس فقط لا غير، وأن اغلب الدول تدخلت لمنع روسيا من هذه الحرب، فنجد ان شخصية امين افندي ذات معرفة علمية وسياسية فهو يتكلم عن اسباب الحرب، وهذا ليس بالأمر السهل، فهي من الامور التي تتطلب دراية وثقافة سياسية، واضاف امين افندي شيئاً عن اسباب الحرب هذه عندما وجه الحاضرون إليه سؤالاً (لكنك لم توضح اسبابها يا افندي) هذا السؤال لم يأت اعتباطياً، بل جاء لأن الجالسين على دراية كبيرة بأن امين افندي يعلم الكثير عن الامور السياسية، فهو شخصية مثقفة وعلى اطلاع بالأمور المختلفة، فقال امين افندي (السبب كما اراه هو ضعف دولتنا)، هنا اعطى سبباً سياسياً واقعياً، لأنه يعلم بأن الدول القوية دائماً تريد الحصول على مقومات ومصالح الدولة التي اقل منها قوة حيث أكد بان (قياصرة روسيا يدعونها بالرجل المريض)، وقصد بذلك تركيا والدولة العثمانية بصورة عامة، لذا كان الروس متيقنين من هزيمة تركيا والحصول على مصالحها، واضاف امين افندي أن لروسيا حجة الدفاع عن المواطنين الاتراك وحمائيتهم من قمع الدولة العثمانية، وأن من اسباب الحرب تنفيذ الروس لرغبة ووصية زعيمهم بطرس الاكبر بالاستيلاء على المضائق التركية والسيطرة على استانبول، فكان هذا الحوار السياسي قائماً بالدرجة الاولى على التحليل من قبل امين افندي، فقد اعطاه الروائي فرصة كبيرة بأن يعبر عن ما يدور في فكره وطرحه للجالسين، واعتمد امين افندي على المعلومات السياسية التي حصل عليها اثناء فترة الحرب وقبلها، وغلب على الحضور نوع من الحماسة خصوصاً امين افندي الذي كان يتكلم عن هذه الحرب بحرقه القلب وعاطفة جياشة

اتجاه بلده، وقد اخذ هذا الحوار حيزاً كبيراً في الرواية، اذ استمرت المحاورة التي حملت في طياتها مضامين سياسية، فكشفت تلك التعابير والجمل والعبارات التي تحمل هذه المضامين السياسية والحماسية، حيث اضاف ملا ابراهيم قائلاً...

— ((وما يهم المسقوف وغيرهم من اعدائنا، وفي سبيل اضعاف دولتنا اكثر فاكثروا وهو اقحامها في حروب متواصلة كل بضعة عقود من السنين سواء كانت هذه الحروب مع الروس او مع غيرهم.

اما حنا قريبا قوس الذي بقي صامتاً مصغياً طوال الوقت فقد استدرك شيئاً ما فتساءل...

— وماذا يفعل الروس بالمضايق التركية؟

فأجاب امين افندي:

— ان الروس يهتمون امر المضايق التركية، لأنها الممر الوحيد الذي ينفذون منه الى البحار الحرة من البحر الاسود المقفل، ولأنها الطريق البحري الذي يمكن اعدائهم من ان يهددوا منه اغنى المناطق الروسية وخصصها وهنا اعتدل مسعود الجوماردة وقد كان متكئاً على اريكة واضعاً رأسه الى الوراء ضاماً يديه الى بطنه وقال:

— لنعد الى قول اخينا عبدالله الهدو في البدء، هل استطاع قياصرة روسيا تنفيذ وصية جدتهم بطرس الاكبر؟.. هل استولى على استانبول وتحكموا في مضايقها البحرية؟.. ان شيئاً من هذا القبيل لم يحدث ولن يحدث ان شاء الله تعالى - ما دمنا متمسكين بكتاب الله وسنة نبيه الكريم - صلى الله عليه وسلم - ثم ما هو موقف الدول الاخرى من مغامرة جديدة لروسيا كهذه؟! هل ستقف متفرجة؟ فاذا ما انتصرت روسيا وتربعت على اريكة البسفور، فستصبح خطراً لا نزاع فيه على السلم في العالم.

و ضرب امين افندي قبضته على المنضدة وقال:

— اذن فلسوف يحين وقت يعترف فيه اعداؤنا الغربيون، بفضل الدولة العثمانية على أوروبا بإيصادهم ابواب الدردنيل.))^(١٩).

هنا نجد بأن الحوار بدأ يأخذ مجالاً واسعاً من خلال اشتراك الجميع بالحديث عن هذه الحرب، واعطاء وجهات نظر مختلفة ومتبادلة في نفس الوقت، فقد كان المتكلم الوحيد في هذه الجلسة هو امين افندي، لأنه يعلم الكثير عن هذه الحرب، بعدها اصبح الجميع متحمسين لهذا الموضوع كونه يخص دولتهم، فأعطى ملا ابراهيم سبباً مقنعاً للجميع لهذه الحروب المتواصلة على دولتهم وقد اوعز ان سبب الحرب هو اضعاف الدولة واقحامها سواء مع الروس او مع غيرهم، فنشأ هذا الحوار على بساطة فهو يعبر عن رأي كل شخصية متحاورة اثناء الجلسة، وكل واحد منهم قد تمسك برأيه واسلوبه في المحاوره، ولكن الطابع الاساسي والأعم على هذا الحوار هو الطابع السياسي، لأن الموضوع الرئيسي في هذه الجلسة هو موضوع الحرب وهو يتضمن مضامين واسس سياسية، بعدها اراد حنا قوسا بعد صمته ان يشارك في هذا الحوار السياسي وهو كما نعلم من الطائفية المسيحية ولا يريد الخوض بهذه الامور السياسية، ربما يكون الخوف والقلق من هذا الامر، لأننا كما نعلم أن الدولة العثمانية كان يحكمها الدين الاسلامي والاحكام الاسلامية، فنجد سؤال حنا قوسا قوس هنا كان محدوداً واضحاً عندما قال (وما يفعل الروس بالمضاييق التركية) نلاحظ من خلال هذا السؤال ان شخصية حنا قوسا هي شخصية بسيطة، فلم يكن تفكيره بالأمور السياسية واسعاً وهذا ما لاحظناه من خلال هذا السؤال الذي اجاب عنه امين افندي، وهو الشخصية الأكثر علماً بالأمور السياسية فوضح الامر لحنا قوسا بأن هذه المضاييق التركية هي من اهم الممرات البحرية لروسيا والتي من خلالها تمكن الروس من الدفاع عن دولتهم من الاعداء واستمرار محاربتهم ونفوذ قوتهم على الدول الاخرى، فكان جواب امين افندي، يدل على وعيه السياسي وعلمه بالأحداث، لقد اخذ الحوار في هذه الجلسة اراء مختلفة سياسية ودولية بين الشخصيات المتحاورة، فكل له رأيه الخاص ولا يفرض على الاخر ونجد رأي مسعود الجوماردة الذي ضم صوته مع صوت صديقه عبدالله الهدو في أن كل هذه الامور لم تحصل بعد الحرب، فلا روسيا استولت على المضاييق التركية ولم تستولي على استانبول

بالأساس، وقد نفى حدوث هذا الامر في الحاضر وفي المستقبل، لانهم متمسكين بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان موقفه السياسي مرتبط بالموقف الديني، فهو ينطق بما تضيفي عليه شخصيته المتدينة واعطى رأياً آخرّاً حول عدم سيطرة روسيا على استانبول لأنها إن فعلت فلن تقف الدول الاخرى موقف المتفرج عليها، فكان رأيه سياسياً وفيه حكمة، وختم أمين افندي هذا الحوار السياسي بأن الدولة العثمانية قوية ولها فضل كبير على بقية الدول الاوربية وسيأتي يومكم يعترفون بهذا الفضل فنجد الروائي غانم خليل قد اعطى نكهة مميزة لهذا النوع من الحوار، وجعله يتضمن مواقف وآراء سياسية من خلال المحاورة وأبداء الآراء فيما بين الشخصيات واستخدام العبارات والجمل والافكار والملائمة للمشهد الحوارى .

مَجَلَّةُ جَامِعَةِ كَيْتِ لِلْعِلْمِ
الْإِسْلَامِيَّةِ

المبحث الثالث

المضمون العلمي

يجري الحوار العلمي بين الشخصيات التي تتمتع بدرجة من الثقافة إذ يتناول بعض القضايا الفكرية فيعتمد هذا النوع من الحوار على الإدراك الفكري والعلمي أثناء المحادثة بين الشخصيات وعلى تبادل الآراء والأفكار^(٢٠)، فتكون هذه الشخصيات على مستوى من الثقافة التي تمكنها من إدراج الآراء والأفكار العلمية أثناء التحوار وإبراز حقيقة ثابتة أو متغيرة، إذ يؤدي هذا النقاش العلمي إلى الوصول بأسلوبه التحواري وإدراكه الفكري والعلمي إلى المعاني الداخلية في بيئة النص الروائي، ويؤدي هذا الحوار إلى تفاعل العلاقات الاجتماعية والعلمية بين الشخصيات، وزيادة المعلومات وتبادل الآراء والأفكار، حيث يربط هذا الحوار عناصر النص الأدبي، باعتباره يدور حول فكرة علمية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالحدث، مستمداً هذه الأفكار من خارج النص وادخالها في ثنايا النص الروائي، فيرفد الخارج أحداثاً ووقائع حقيقية أو من مخيلة الكاتب^(٢١).

ومن هذه الحوارات التي يسودها الفكر العلمي والبحث والاستنتاج، حوار (سليمان السقاء) مع (حريش) في منزله عندما نقله من ضفة نهر دجلة إلى بيته عندما رآه مغشياً عليه، يرتجف من البرد الشديد، فقام سليمان السقاء بتدفئته والعناية به وتقديم الطعام له، فبعد أن رآه يستعيد صحته شيئاً فشيئاً، قال له سليمان السقاء .

— ((لا .. لا .. انت على احسن حال، بضع ساعات وتقوم كالحصان ، ولكن بعد ان يدفأ جوفك بجرعة حليب ساخن.

رفع سليمان السقاء الفتى واسند ظهره بذراعه وسكب في فيه بضع ملاعق من الحليب، وقال منشرحاً :

— سيترد هذا الحليب البرد من جسمك الى غير رجعة !

اما الفتى فقد رفع يده في الهواء - ان كفى - يلح عليه السقاء بتناول المزيد ، واكتفى بالقول :

— نم ، نم جيداً وسيزول تعبك وبردك.

اضجعه على السرير، وسوى غطاءه، ثم خاطب زوجته قائلاً :

— ليق متدفناً، فأذا نام، اعدي له شراب البابونج عندما يستيقظ^(٢٢).

من خلال ملاحظتنا لهذا المشهد الحواري الذي تداخل مع السرد، رغبة من الكاتب في ابراز الحالة الصحية المتردية التي كان عليها حريش اثناء مرضه وهو يستعيد عافيته شيئاً فشيئاً، بمساعدة سليمان السقاء الذي نقله الى منزله واعتنى به رافة بحاله، فنجد هذا الحوار استند على معلومات علمية ابداهها سليمان السقاء، واتضح من حوار الفردى مع حريش الذي كان يسمع ولا يستطيع الرد، بل المشاركة في الاشارات فقط لسوء حالته، فمبادرة سليمان السقاء في شرب حريش القليل من الحليب، كانت تستند الى المعلومات الطبية التي يمتلكها سليمان السقاء في أن الحليب له دور في ازالة البرد من الجسم وخصوصاً اذا كان ساخناً ، وكذلك يساعد على استعادة القوة للجسم ، فهذه المبادرة الحوارية التي تقدم بها سليمان السقاء تعكس المعلومات العلمية البسيطة التي كان يمتلكها الناس في ذلك الوقت، مؤكداً ذلك بقوله (سيطرد هذا الحليب من جسمك الى غير رجعة) فهو متيقن من هذه المعلومة ومن خلال النتائج السابقة لنفس هذه الحالة، بعدها نجد ان سليمان السقاء يطلب منه ان ينام جيداً، فذلك سيساعده مع شرب الحليب، على تدفئة الجسم بصورة جيدة، طالباً من زوجته عمل البابونج لحريش بعد ان يستيقظ من نومه، فهذه المعلومات التي استندت الى تجارب علمية قدمها سليمان السقاء كوصفه علاجي لحريش كي يستعيد صحته وعافيته، فأراد الكاتب ابراز هذه الحقائق العلمية للقارئ من خلال هذه المحاور للاستفادة ، وايضاً جعل هذا النوع من الحوار العلمي يحدث في زمن ساد فيه التخلف في المدن الفقيرة والنائية اثناء فترة الاحتلال العثماني للعراق .

ومن امثلة الحوارات العلمية ما دار من حوار علمي في مجلس امين فخري زادة بحضور اصحابه (مسعود الجوماردة) و (ملا ابراهيم) وبحضور (ادهم عمر) (وشوكت رشيد) الرجل الذي يزور هذا المجلس لأول مرة برفقة صديقه التاجر أدهم عمر ، فقد جرى الحوار حول النكبات والابوة التي تحصل في البلاد فيذهب الناس ضحيتها دون السيطرة عليها ودون معرفة اسبابها لمعالجتها ، وقد طرحوا هذا الموضوع على شوكت رشيد فربط الاسباب

بالتخلف وعدم التقدم بالعلم كحال الدول الاوربية .. مخاطباً (امين فخري) و (شوكت رشيد) بقوله ...

- ((يظهر انك يا اخي لم تسمع عن نكبات الدهر شيئاً .
- اي نكبات؟ قد يكون هذا صحيحاً في حدود معينة .
- ماذا تقصد في حدود معينة.
- اقصد تلك التي تأتي من الطبيعة !
- وتلك التي تأتي من البشر ؟ !
- ما هذا الكلام ! بشر يصنع النكبة؟! يعني انه يريد القضاء على نفسه لا اكثر . لا..
- لا.. هذا غير صحيح.

- يبدو انك لم تقرأ التاريخ قط اقرأه يا اخي ستجده ملآن بالنكبات وابشع تلك النكبات نكبات الامم وهذه لا تأتي الا من عقول البشر واي بشر!
- والفيضانات والابوئة والامراض ماذا تقول فيها؟
- لا حول ولا قوة الا بالله فلا حيلة لي فيها))^(٢٣).

نلاحظ في هذا المشهد الحواري اراد الكاتب أن يثير قضية مهمة وهي النكبات والابوئة التي تحصل في البلدان، كأن تكون طبيعية ام بشرية ، فأثار هذه القضية على لسان الشخصيات بحوار علمي استند على المناقشة، فهذه الامور لا يمكن للإنسان العادي ذو الثقافة البسيطة أن يعطي رأياً سديداً في تلك الامور، فكانت بداية الحوار من قبل امين فخري زادة مع شوكت رشيد عن موضوع النكبات التي تحصل بالبلدان وقد دفعته على البدء في هذا الحوار، هو منظر شوكت رشيد حيث الهدام المتميز وهيئته التي تبدو امام العيان شخصية تحمل ثقافة واسعة، فما قصده امين فخري زادة هي النكبات التي تأتي من صنع البشر وقد رفض شوكت رشيد هذا الرأي جملة وتفصيلاً باعتبار أن النكبات تأتي من الطبيعة ، لأنها اذا جاءت من البشر فسيكون قد حكم على نفسه بالتدمير، وقد اصر امين فخري على ان النكبات من صنع البشر ونصح شوكت رشيد بالرجوع لقراءة التاريخ ليعرفها جيداً، وكان رد شوكت رشيد بأن الفيضانات والابوئة والامراض لها درجة كبيرة في هذه

النكبات، فنلاحظ هذا الحوار ربما يكون بصورة استفزازية لشخصية شوكت رشيد لمعرفة ما تحمله هذه الشخصية الجديدة على المجلس، واختبار معرفته، وهل تتطابق هذه المعرفة مع الشخصية التي تحملها.

بعدها نلاحظ أن شوكت رشيد قد أثبت معرفته العلمية بما يحمله من معلومات تحارب هذه النكبات وتحارب التخلف جملة وتفصيلاً فأخذ الحوار بأخذ مجرى اوسع مما كان عليه فقال.

— ((ان الامم الان تقطع شوطاً كبيراً في الحضارة، انها تخوض غمار العلم، ان المتروك لا يصل - نحن بحاجة الى تطور.

— اي تطور؟ في اي مجال يكون؟

— تطور كتطور اوربا، شعوب حية عرفت بوعياها وعقلها كيف يجب ان تكون.

— وكيف نصل الى ما وصلت اليه اوربا، او ما الذي اوصلها الى هذا التطور وهذه الحضارة؟

— انا اقول لك بالعلم والحرية وسيادة القانون.

— وماذا ينقصنا من هذه الاشياء الثلاثة؟

— اما العلم فنحن في تحصيله واما الحرية.. آه الحرية فنحن لدينا بدلها - والى الامس القريب التقاليد، هذا عيب وهذا جائز وهذا لا تخض فيه. واما القانون... القانون - لا ادري ماذا اقول في القانون. ولكن دولتنا والحمد لله بدأت تشق طريقها، العلم يدرس، والبعثات العلمية الى اوربا ستزداد، والحرية اعلنت وفي جميع الولايات، ويبقى الدستور وهذا اقر ايضاً ولا ينقصنا الآن الا تمثيل الشعب في مجلس المبعوثان وهذا سيحصل ان شاء الله وعن قريب))^(٢٤).

هنا اخذ الحوار مجالاً علمياً واسعاً خاض غماره شوكت رشيد واصبح هو سيد الجلسة فقد اظهر حواراً خزيناً من المعلومات التي ادهش الحاضرين بها، والاجابة على جميع تساؤلاتهم، فقد ربط شوكت رشيد هذه النكبات والامراض والابوئة التي تجري في بلادهم. بقلّة العلم والتخلف وعدم مواكبة العلم الذي واكبته الدول الاوربية، ونجد ان الروائي اراد أن

يوصل رسالة الى القارئ بأن العلم يكافح التخلف ويجعل الانسان يفكر دائماً بما حدث له ويحدث ، ومن خلال تفكيره يصل الى نتيجة لحل كل ما يقع فيه من امراض ونكبات ويستطيع علاجها، واتضح من خلال هذا الحوار العلمي، ما تحمله شخصية شوكت رشيد من معلومات جعل الشخصيات المتواجدة في المجلس، يفكرون في انفسهم وما يحدث لهم، فقاموا بتوجيه الاسئلة الى شوكت رشيد للاستفادة من المعلومات المتوفرة لديه، وكانوا يسألونه عن كيفية مواكبة الدول الكبرى، فكانت اجابته علمية دقيقة وهي (بالعلم والحرية وسيادة القانون) ، فالعلم هو من يجعل العقول متنورة تفكر بما يخدمها وتعمل بما يصلحها ، والحرية هي التخلص من التقييد والانفتاح الى عالم افضل وتقاليد حسنة وصالحة، وسيادة القانون هو سيادة العدالة بين الناس وعدم التفرقة بينهم حتى لا يأكل القوي الضعيف، فحوار شوكت رشيد اعتمد على حقائق علمية ومعرفة ومعلومات لا يستهان بها، فالحوار العلمي يساعد على كشف دواخل الشخصية ومدى معرفتها ونقاشها بما ينسجم مع موضوع الحوار، ويتلخص منه نتائج مبهرة قد لا تكون مكشوفة ومعلومة لدى القارئ نفسه .

الخاتمة

- يمكننا أن نشير الى اهم النتائج التي توصلت اليها الدراسة من خلال هذا البحث :
- الحوار هو النشاط الانساني التفاعلي الذي يجري بين الشخصيات بغية طرح ونقاش قضايا اساسية قد تكون اجتماعية او سياسية او علمية بأسلوب متنوع يعتمد على طرائق صياغته من قبل الشخصيات والتي تختلف مستوياتها باختلاف مستويات تفكيرها وثقافتها .
 - يسعى الحوار في اصل تكوينه الى تقارب المعطيات المعرفية لبقية المناهج النبوية والسيمائية وهو ما يوفر طبيعة شمولية في معالجة اغلب الظواهر المدروسة .
 - بينت دراسة الحوار لرواية (يوم غابت الشمس لغانم خليل) انها اشتملت على مضامين حوارية مختلفة ومتنوعة عاجلت اغلب القضايا المختلفة وهذه المضامين انقسمت الى :
 - المضمون الاجتماعي : حيث شكل بؤرة تمحورت حولها اغلب الاحداث الروائية وخصوصاً إن رواية يوم غابت الشمس قد اشتملت على معالجة قضايا اجتماعية كثيرة من خلال احداثها .
 - المضمون السياسي : تضمنت احداث الرواية تحولات وتطورات سياسية كبيرة جرت في الدولة العثمانية، وبرزت هذه الاحداث من خلال المضامين الحوارية السياسية التي ناقشت قضايا سياسية على لسان اغلب الشخصيات المثقفة والجاهلة .
 - المضمون العلمي : كشفت احداث الرواية عن وجود بعض الحوارات العلمية التي جرت بين الشخصيات ، بينت فيها بعض الاربئة والامراض التي جرت في تلك المرحلة الزمنية، فضلاً على أن هذه الحوارات ناقشت طرائق التعليم والتطور العلمي مقارنة مع الدول الاوربية اضافة الى تطرقها لظروف الحرب والسياسة بأسلوب علمي تحاوري .
 - شكل الحوار بنية محورية في ادارة مجريات العمل الادبي اتكأ عليه الروائي في تحريك الفاعلية الروائية وربط عناصر العمل مع بعضها البعض .
 - إن الحوار ظهر بمظهر الحديث اليومي التداولي مما ادى الى اثراء المصداقية والاقتراب من ذات القارئ .

— لقد شكل الحوار لغة التواصل بين شخصيات العمل الروائي بعضها مع البعض الآخر هذا من جهة وبين القارئ من جهة أخرى فضلاً على أنه عكس اغلب سمات كل شخصية داخل العمل الروائي ومستواها الثقافي ووعيها الاجتماعي والسياسي والعلمي .

مَجَلَّةُ جَامِعَةِ كَيْتِ لِلْعِلْمِ
الْإِسْلَامِيَّةِ

الهوامش

- (١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق / احمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م : ٢١٥٥/٦.
- (٢) تهذيب اللغة ، محمد بن احمد بن الازهري الهروي، ابو منصور (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق / محمد عوض مرعي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م : ٣٦/١٢.
- (٣) معجم مقاييس اللغة ، احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، ابو الحسين (ت ٣٩٥ هـ)، تحقيق/ عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر، ٢٣٩٩ هـ ، ١٩٧٩ م : ٣٧٢/٣.
- (٤) ينظر: الحوار في القصة والمسرحية والاذاعة والتلفزيون، د. طه عبدالفتاح مقلد، دار الزيني للطباعة، مكتبة الشباب، (د.ط، المنيرة ، ١٩٧٥) : ١٥.
- (٥) ينظر: لغة الحوار ودلالته في الرواية العراقية، باقر جواد محمد، مجلة الطليعة الادبية، بغداد، ٢٤ ، ١٩٨٠ : ٣٦.
- (٦) ينظر: تطور الحوار في القصة التونسية، ضمن كتاب قضايا الادب العربي ، عمر بن سالم، مجموعة مؤلفين: ١٠١.
- (٧) ينظر: الحوار خلفياته والياته وقضاياها: ٤٧.
- (٨) ينظر: المصدر نفسه: ٥١ .
- (٩) الرواية : ٣٠-٣١ .
- (١٠) ينظر: تطور لغة الحوار في القصة التونسية : ١٠٤
- (١١) رواية يوم غابت الشمس، غانم خليل، دار الحوار للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ٢٠١١ : ٧١-٧٢.
- (١٢) الرواية: ٧٢-٧٣.
- (١٣) ينظر: تطور لغة الحوار في القصة التونسية: ١٠٤-١٠٥ .

- (١٤) ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الامل، يتزي وزو- الجزائر، د. ط. د. ن. ص ١٤٤ - ١٤٥.
- (١٥) الرواية السياسية، ارفج هاو، مجلة الاقلام العدد ٤، ١٩٧٧، ٢٥.
- (١٦) تطور لغة الحوار في القصة التونسية: ١٠٧.
- (١٧) الرواية السياسية، ٢٨.
- (١٨) الرواية: ٣٤.
- (١٩) الرواية: ٣٤ - ٣٥.
- (٢٠) ينظر: في رحاب الفكر العربي، يوسف محمود السعيد، دار العودة، بيروت، (د.ص) ١٩٨٦ : ٧٨.
- (٢١) ينظر: مبادئ تحليل النصوص الادبية، د. بسام بركة، دار نوبار للطباعة، ط ١ القاهرة، ٢٠٠٢، ٥٠.
- (٢٢) الرواية : ٨١.
- (٢٣) الرواية : ١١٥-١١٦.
- (٢٤) الرواية : ١١٦-١١٧.

مَجَلَّةُ جَامِعَةِ كَيْتِ لِلْعِلْمِ
الْإِسْلَامِيَّةِ